

فعاد الرجل من الإدارة خائباً وذهب إلى الخياط وقص عليه خبره، فأصلح له زر قميصه وهو يقول فلنحمد الله الذى وصلنا إلى زمن نرى به النساء يسابقن الرجال فى المعارف والآداب لا بالتيه وفخفة الثياب.

## خطرات بال

«بقلم حضرة الكاتبة الفاضلة الأنسة مريم خالد المصونة وكيلتنا»

«فى دير القمر وجبل لبنان»

لا تقعدن عن الأشغال والعمَلِ	واركب متن العلى لا تخشى من زلِ
أجهد قوى العقل وارفَع قدر صاحبه	لا تكسلن فموت العلم بالكسلِ
واحد المطايا لبيت العلم مسرعة	واطو الفيافى فخير البر بالعجلِ
قف فى معالم أطلال العلوم وقِل	من بعد بسملة حبيت من طللِ
وارفع ستار الخفا وانظر بجنته	انهارها قد جرت بالشهد والعسلِ
وناده مجهراً بالحمد مبتدئاً	لله درك كـم رقيت من رجلِ
فالعالم كالكنز لا يخطو به رجل	إن لم يكن تردى حلة البطلِ
خفية حار عقلى فى تسترها	حتى عمدت إلى التدبير والحيلِ
بالدرس تفتح أبواب مقلية	ويرتقى للعلى فى أسهل السبلِ

اسمحوا لى سادتي أن أتیکم ببعض أفكار علمتها بالاختبار ربما تأول للفائدة غير خاف عليكم أن العالم ليس إلا مدرسة سنّت قوانينها وتنظمت شرائعها مناسبة لأحوال الإنسان فى كل زمان، فهو مطالب بحفظها مسئول حين مخالفتها لا يستطيع التلمص من تحت نيرها ما زال حياً، وهى تشتغل دائماً فى تغييره إلى أحسن ما يرام. بيد أن الإنسان لا يشعر بها ولا يستحسن بنفعها. فإن حفظها ورعاها نال رفعةً وعزاً

وإن أهملها وسنّ لنفسه سواها أهمل شأنه وحط قدره، فالمطالعة بعد الخروج من المدرسة أمر ضرورى ليحفظ ما تعلمه بمأمن من النسيان الذى هو آفة العلم ومصيبته فإن حياة العلم بالذاكرة وأمانته بالإهمال، هذا وإن كثيرين من الذين كانوا يسيرون بموجبه تركوا الدرس جانباً مذ خرجوا من المدرسة ونبذوا المطالعة ظهرياً حتى وصلوا إلى درجة نسوا فيها ما تعلموا وأصبحوا لا يستطيعون شيئاً منه يوم ولم يفطنوا لقول من قال:

### إنما العقل مثلما السيف يصدى      حدّه ساكناً بلا أعمال

فعليه أقول إن من أكبر الغلطات التى يمكن ارتكابها فى حق التقدم إهمال القوى العقلية بعد أن قد اعتادت الدرس والمطالعة.

ولا جهل أعظم من جهل امرئ يمر فى قواه العقلية فى مدرسة، ويبذل كل جهده فى الدرس والمطالعة حتى إذا ما خرج تركها ظناً منه وبعض الظن إثم إنه قد استوعب العلم، ولم يعد له حاجة إلى الدرس إذ أنه لا يلبث قليلاً بعد ذلك حتى ينسج عناكب النسيان على قواه العقلية نسيجاً يغطى كل ما عرفه من الأمور التى هى دون القليل فيصبح جاهلاً مدعياً، ويعتاد أن لا يهتم بالمعارف والاكتراث بالدرس فيبتدىئ يزدري بكل من كان يسعى لهذه الغاية ويهزهء بالكاتب أو الكاتبة ذلك لما حل به الكسل وتسدواً عليه من الخمول بما آل إلى سقوط قواه العقلية، فيصبح منحط القدر حامل الذكر لا يلتفت إليه ولا يؤسف عليه.

ولا أشك أن للظروف حقاً كبيراً فى ترقية القوى العقلية وتهذيبها، ولكن مهما كانت هذه القوى ضعيفة فى الإنسان ومهما كانت ظروفه معاكسة لترقيتها فإهمالها إهمالاً كلياً إنما هى تعدّ على الناموس وخطية حزاؤها التقهقر والانحطاط إذ بإهمال تلك القوى يخطئ المرء ضد نفسه وبالنتيجة ضد بلاده.

والخلاصة أن ليس لامرئٍ حق أن يهمل هذه القوى ويتراخى فى تهذيبه الشخصى ملكاً كان أو فلاحاً، وافقته الظروف أو عاكسته فإن ساعة من الدرس والكتابة كل يوم ليست طويلة تعود على أى كان بنتائج حسنة وفوائد عظيمة.

يخرج التلميذ أو التلميذة من المدرسة بعد أن ينال شهادتها، وهو يزعم أن صدره وعى علوم الأولين ومعارف المتأخرين، فيتبه عجباً ويهزُّ طرباً كلما رنَّ صوت المعارف فى محافل البلاد ظناً أنه من الطبقة الأولى، وإن الأوليات تخدمه والحقائق تتدفق من فيه ولكنه لا يطول أمره كثيراً حتى يهبط من سماء تخیلاته، فيضحك على ما فى خطئه ويستخف بقديم تصوراتهِ، وذلك حين تأبى الأيام إلا أن تظهر حقيقتة أحواله وتبين كاذب آله وذلك بما تبين به بضاعته ساعة يتوق بها إلى المراكز العالية ومهام الأمور وعندئذٍ يتذكر تلك الحديقة الغنّاء التى طالما تمنى أن يقطف منها بما يشوق العين ويسرُّ خاطر فيحقق أنها مغنى الطلاب ومرجاهم، بيد أنه إذ ذاك كان يذوق الأثمار فقط فلا يشبع ويرد مورداً عذباً ماؤه فيصدر عنه، وفى النفس أشياء ولا يرى ما وراء الحجاب من حلوة المشهد والشهد المستطاب إلا حين يدخل المدرسة الثانية ويثقف العقل ويقوى الذهن ويحسن الذوق بالمطالعة التى هى كمفتاح مخادع العلم المستترة حيث يتمثل لديه ظروف الأجيال القديمة وأحوالها، ويطلع على حروبها ومشاهيرها، ويحدثهم فى الوقت الحاضر.

ويقصد الناس بالمطالعة أموراً ثلاثة إما التسلية أو الزينة أو القدرة العقلية ففائدة الأولى التسلية فى أن الوحدة والعزلة والثانية المقدره على المخالطة والمحادثة والثالثة الاقتدار على الأعمال، وهى الأهم لأن القوى الطبيعية تشبه النباتات التى تحتاج إلى المواد المغذية لقيام حياتها. وللدرس بحد ذاتها ضوابط وسنن محدودة تدرك بالاختبار. وليس المطالعة للمناقضة أو للدحض أو للتصدق أو للهبة ولا لإيجاد مجادلة أو مخاطبة بل للمقابلة والتبصر إذ الكتب متنوعة، فالبعض منها لتذاق والبعض

لتبلع والبعض لتمضغ وتهضم أى أن بعض الكتب يجب أن تقرأ منتخبات منها والبعض تقرأ بتمامها ولكن ليس بتمعن والبعض بتمعن للغاية. فالقراءة تجعل الإنسان كاملاً والمحادثة مستعداً والكتابة مدققاً، ولذلك ترى أن أقل من الكتابة كان ذا ذاكرة قوية ومن تحدث قليلاً كان ذا فكاهاة فى الحديث، فالتاريخ يجعل الإنسان حكيماً والمرء حاد الذهن سريع الجواب والرياضيات تمكنه من الحيل والمنطق والبيان يصيرانه قادراً على المحاجة.

فمن ثم لا يوجد مانع أو عثرة فى سبيل المعارف بل إن تحليلها سهل بالدروس المناسبة وفعلها بالعقل وإنما هو بمثابة فعل التمدادى بالجسد، فالتصعيد فى الجبال مقو للرتتين والصدر والمشى اللطيف نافع للمعدة وركوب الخيل لسائر العضلات ونموه. وهكذا إذا كانت بصيرة الإنسان أو قوة إدراكه تهمة، فليدرس الرياضيات وإذا كان قليل التمييز ولا يفرق بين الأمور فليلاحظ محاجة المناطق، وإذا كان غير قادر أن يصيب الأمور ولا يقدر أن يبرهن مسألة ويمثل أخرى فليدرس الفقه، وهكذا فإن لكل خلل أو ضعف فى العقل دواءً شافياً فعلاً.

هذا وإن الدرس يُقدّر المرء فى المجاهدة ضد المتاعب والمصاعب وبقيت عقله بهذا الطعام ويعمل الفكرة بجمع أطايب الأقوال تغذية للعقول وتطيباً للنفوس. فهلم أيتها السيدات الفاضلات لنشمر عن ساعد الجد والاجتهاد، ونهض همتنا وهمة جميع بنات جنسنا على اكتساب المعارف وترقية شأن العلم بهذه الوسائل لاسيما بمواصلة جريدة الفتاة جريدتنا الوحيدة الآن وعسى أن لا تبقى وحيدة لطول...

أخيراً نرى أن للإنسان مدارس متعددة غير التى فيها مبادئ العلوم، ونرى كذلك أنه بعد خروجه منها يحصل أضعاف ما حصله فيها، وبذلك يتقدم فى المعرفة والفهم ويرتفع إلى درجات التى تود البلاد أن تراه فيها حتى إذا ما رمقه الذين لم تساعدهم الأحوال، ورأوا ما هم عليه من التقصير عنه هبت فيهم نخوة الاجتهاد، فبأخونه

بالدرس والبحث والتقرب من المتعلمين ويقتدون بهم ويحققون عندئذ أن العقل لا يتم نموه إلا بتبادل الأفكار. هذا وإننا نرى أن كثيرين من الذين لم يتسن لهم الوصول إلى المدارس الكلية قادرون أن يعملوا أعمالاً تعجز عنها كبار الناس، وأنهم بجهدهم أصبحوا من الأفراد العظام الذين يعقد عليهم الخناصر ويشار إليهم بالبنان وفازوا بقصب السبق في البلاد عقلاً ومعرفة مما يؤكد أن المدرسة ليست المكان الوحيد حيث يتمكن العقل من إدراك صعاب المسائل وحل مشكلات الأمور كاشفاً عن مبهماتهما ومنقياً عن دقائقها وقد يمكن للإنسان أن يكون في المدرسة يوماً إذا شاء ذلك ويدخل في عرف المدرسة هنا البيت والحقل والشارع والسوق، وكل مكان وجد الإنسان فيه فكل هذه إنما هي مدرسة ترقى الرجال والنساء وتوجد فيهم حب الدرس والبحث والتكلم والعمل وتعلمهم أن يفعلوا ذلك لغاية شريفة تجعلهم في مقام رفيع، ويشار إليهم بالبنان ويحدث عنهم في كل مكان.

فعلى كل أن يقول أنني أفيد وأستفيد بمخالطتي الجميع أسعى في سبيل نفعهم ورتقيهم إلى درجة أنا فيها إذا كانوا دوني وأشترك معهم إذا كانوا في منزلتي، واستفيد منهم إذا كانوا أرقى حالاً مني. وطالب الحقيقة لا يستحي أن يأخذها من أي كان وعلى كل فإن الله وهبني عقلاً وفضلني على سائر المخلوقات، فعلى أن أثقفه وأرقيه قدر طاقتي في كل يوم وفي كل فرصة وأكون في كل ذلك على حد قول الشاعر:

إذا فاتني يومٌ ولم أنتفع بهِ      ولم استفد علماً فما ذاك من عمري

### اقترح

لحضرة وكيلتنا الكاتبة الفاضلة السيدة زينب فواز بمصر

(الرجل أشد تعباً في هذه الحياة أم المرأة)